

الحلقة الثالثة والتسعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هناك تساؤلات كثيرة يطرحها الإنسان مستمعي عن الحياة ومعناها، وهل هناك من حق في هذا العالم؟ وعن ماهية هذا الحق. فما هو الحق؟ وهل يمكننا معرفته؟ وماذا يفيدنا أن نعرف الحق؟ أي هل معرفتنا للحق تفيدنا في حياتنا العملية وفي سلوكنا وتصرفاتنا اليومية؟ لقد أجابنا المخلص المسيح عن كل هذه التساؤلات عندما كان يتحدث مع بعض اليهود الذين آمنوا به. كتب البشير يوحنا قائلاً:

وَبَيِّنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهَذَا آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ. فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ: «إِنَّكُمْ إِنْ تَبْتَنُّوا فِي كَلَامِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ». أَجَابُوهُ: «إِنَّا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ نُسْتَعْبِدْ لِأَحَدٍ قَطُّ! كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَارًا؟» أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ. وَالْعَبْدُ لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الْأَبَدِ، أَمَّا الْابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ. فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الْابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا» (بشارة يوحنا ٨: ٣٠-٣٦).

لقد أوضح المخلص يسوع المسيح في هذا الحديث الذي وجَّهه إلى اليهود الذين آمنوا به، عدة حقائق هامة. ولفت انتباههم إلى أهمية معرفة الحق. وأن الإنسان عندما يعرف الحق، يحرره الحق، يحرره الحق من عبودية الخطية، أي من عبودية الذنوب. سنتأمل الآن بحديث المسيح الهام هذا فابقوا معنا.

لعلَّ أهم ما نلاحظه في بداية حديث المسيح أنه وجَّهه إلى اليهود الذين آمنوا به. لقد عرف المسيح أن إيمان هؤلاء اليهود به هو إيمان عقلي فقط. فهم آمنوا بكلامه أنه قد أتى من عند الله الأب من السماء. لكن إيمانهم هذا لم يمس حياتهم من الداخل ولم يبذل حقيقة نفوسهم الخاطئة. لهذا كان لا بد أن يلفت المسيح انتباههم إلى بعض الحقائق الهامة. ولعلَّ أول حقيقة هي قول المسيح لهم: «إِنَّكُمْ إِنْ تَبْتَنُّوا فِي كَلَامِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي»، فعليهم أن يثبتوا أي يؤمنوا في كلامه من القلب وليس بحسب الظاهر فقط،

عندئذ يكونون من تلاميذه، أي من تلاميذ المسيح.

ثم أضاف المخلص المسيح معلناً الحقيقة الثانية وهي: «وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ». إن صيرورة الإنسان من تلاميذ المسيح يعرفه على الحق، أي يعرفه على شخص المسيح كمخلص لحياته. ألم يقل المسيح مرّة لتلاميذه: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (بشارة يوحنا ١٤: ٦). فالمسيح هو الحق الذي أعلنه الله لنا.

ومعرفة الحق هذه أي اختبار خلاص المسيح تحرر الإنسان. وهذه حقيقة ثالثة كشفها المسيح في حديثه هنا. ولهذا قال لأولئك اليهود: «وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ». إن معرفة الحق لها نتائج عملية في حياة الإنسان، وليس مجرد معرفة نظرية. فهذه المعرفة تحرر الإنسان من عبودية الخطيئة. لكن اليهود لم يفهموا ما قصده المسيح من كلامه، فظنوا أنه يتحدث عن العبودية والحرية بمعناها السياسي. ولهذا أجابوه قائلين: «إِنَّا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ نُسْتَعْبُدْ لِأَحَدٍ قَطُّ! كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّا نَحْنُ أَهْلُ حَرَارَةٍ؟» لقد أنكر هؤلاء اليهود بقولهم هذا حقيقة تاريخهم الطويل. فادّعوا أنهم من نسل إبراهيم ولم يستعبدوا لأحد قط. مع أن تاريخهم يكشف بكل وضوح أنهم استعبدوا مرات عديدة ومن ممالك كثيرة. لا بل كانوا في زمن المسيح مستعبدين للرومان. وبما أنهم أنكروا هذه الحقيقة الساطعة في تاريخهم نجدهم يجادلون المسيح أنهم أحرار ولا يحتاجون إلى الحرية التي يعرضها عليهم.

لكن المخلص المسيح تابع كلامه مؤكداً لهم الحقيقة الرابعة وهي: «إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ». أي كشف لهم حقيقة عبوديتهم للخطيئة التي يحاولون إنكارها. ولهذا تابع كلامه موضحاً: «وَالْعَبْدُ لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الْأَبَدِ، أَمَّا الْابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ». وبصريح العبارة أكد لهم أنهم عبيد وليسوا أبناء الله.

مستمعي الكريم، ثم كشف المخلص المسيح لأولئك اليهود الحقيقة الخامسة الهامة وهي: «فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الْابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا». إن الحق كما ذكرنا قبل قليل هو المخلص المسيح نفسه. والمسيح هو الابن كلمة الله الأزلي، الذي تجسّد وأتى إلى عالمنا لكي يحرّر الإنسان من عبودية الخطيئة، وليصبح حراً بالفعل. أجل، لقد أتى المخلص المسيح لكي يحرر البشر من عبودية الخطيئة. وكل من يؤمن بالمسيح يتحرر من الخطيئة ويصبح حراً. هذه هي الحرية الحقة التي يجب أن يسعى إليها كل إنسان. إن الحرية السياسية أمر جيد ويجب أن نسعى إليه، لكن الحرية من عبودية الخطيئة هي الحرية الأسمى التي يجب أن نسعى إليها.

لقد كشف المخلص المسيح لأولئك اليهود الذين آمنوا به حسب الظاهر، أنه هو الحق الذي يجب أن يؤمنوا به. وأنه هو الذي يحررهم من عبودية الخطيئة، ويهبهم الحرية الحقة. فالحرية الحقة هي حرية الإنسان من العبودية الحقيقية التي تستعبده وتذله، وتجعله عبداً لكل ما هو فاسد وشرير.

لعلّ السؤال الآن: كيف صار بإمكان المسيح الذي هو الحق تحرير الإنسان من عبودية الخطيئة؟ وللجواب نقول: لقد تنازل المسيح خصيصاً من السماء لغرض فداء الإنسان وتحريره. ولهذا صرّح المسيح قائلاً عن نفسه: «كَمَا أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْدَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (بشارة متى ٢٠: ٢٨). نعم، قام المسيح بعمل الفداء عن طريق موته الكفاري على الصليب من أجل ذنوبنا، وقيامته الظاهرة من بين الأموات. فهو على الصليب أخذ عقاب خطايانا، وقيامته قهر الخطيئة والموت والشيطان. وهكذا يتحرر كل من يؤمن بعمل المخلص المسيح الكفاري من أجله، يتحرر من عبودية الخطيئة ويصبح من أولاد الله.

ألا تود مستمعي أن تختبر أنت هذا الاختبار المجيد؟ بأن تتعرّف على الحق الذي هو المسيح المخلص؟ وأن تختبر خلاص الله الذي قدّمه لك بواسطته؟ لم لا تؤمن الآن بهذا المخلص الفريد، الذي هو الحق. وهكذا تتحرر من عبودية الخطيئة، وتنال الغفران، وتصبح إنساناً جديداً تصنع الصلاح والخير.